

برنامج أنوار كاشفة

سفر الأمثال

الحلقة الثانية والخمسون

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بمثل واحد فقط تحدث عن الأذن السامعة والعين البصيرة وكيف أن الله هو الذي صنعهما. وأكدنا على أهمية ما نرى وما نسمع على نفسيّتنا من الداخل، وضرورة تجنب كل ما هو مسيء للأخلاق. وأن نطلب من الله أن ينيّر عيون أذهاننا أو بصيرتنا الروحية.

كيف تعامل الآخرين يا صديقي؟ هل تتعامل معهم بصدق وأمانة؟ أم تحاول خداعهم والتحايل عليهم؟ وهل تسعى فقط لتأمين مصالحك الخاصة ولو على حساب حقوق الآخرين؟ تطرّق سليمان الحكيم إلى كل هذه الأمور العملية في أمثاله، وهو ما سنتأمل به في لقاء اليوم.

كتب سليمان الحكيم قائلاً: "خبز الكذب لذيق الإنسان ومن بعد يمتلئ فمه حصيً". (أمثال ٢٠: ١٧) قد يبدو للوهلة الأولى أن الحصول على الطعام عن طريق الكذب والغش والخداع هو أمر مسرّ ولذيذ. لكن النتيجة تكون وبالاً وخسارة، ويحصد الإنسان ما جنته أعماله. يقول المثل العربي: "حبل الكذب قصير". فهما حاول الإنسان أن يغطي كذبه، فلا بد أن يأتي اليوم الذي ينكشف فيه أمام الآخرين، وعندها يحصد الخسارة والخذلان. وكما يقول المثل أيضاً: "أنت لا تستطيع خداع كل الناس كل الوقت".

وتحدّث سليمان الحكيم عن الغش في الأوزان، فكتب هذا المثل قائلاً: "معيّار فمعيّار مكّيال فمكيال كلاهما مكرهة عند الرب". (أمثال ٢٠: ١٠) وكتب في نفس المعنى هذا المثل: "معيّار فمعيّار مكرهة الرب. وموازين الغش غير صالحة". (أمثال ٢٠: ٢٣) كان المجتمع القديم يعتمد في علاقاته وبشكل كبير على المبادلات التجارية. وكان للميزان دور رئيسي في هذه المعاملات، حيث يلجأ الإنسان غير الأمين للغش في موازينه. ولهذا حدّر سليمان الحكيم في هذين المثليّن من الغش بالأوزان. أما في وقتنا الحاضر فهناك الكثير من الأمور في معاملاتنا التي نستطيع الغش فيها وخداع الآخرين. كأن نغش المادة نفسها، أو أن لا نقوم بالعمل المطلوب منّا وبحسب المواصفات المطلوبة. أو بالنسبة للطالب أن يغش بالامتحان. وهذه كلها تحدّرتنا منها كلمة الله المقدسة.

وتابع سليمان الحكيم الحديث عن أعمال التجارة والسوق والخداع فيهما فكتب هذا المثل قائلاً: "ردي ردي يقول المشتري وإذا ذهب فحينئذ يفتخر." (أمثال ١٤:٢٠) أي أن الشاري هنا يشكو أن البضاعة تافهة وغير جيدة، لكنه بعد أن يشتريها يفتخر أمام الآخرين أنه فاز بصفقة جيدة. وبتعبير آخر إن المشتري هنا هو الذي حاول خداع صاحب البضاعة. وينطبق هذا المثل على صاحب البضاعة الذي يحاول رفع قيمة بضاعته، لكي يحصل على الربح الوفير، أو الربح القبيح. ففي كلتا الحالتين إن الخداع يكون هو الأساس في المعاملة، وهذا أمر غير مقبول لدى الله.

وفي مثل آخر تحدّث سليمان الحكيم عن المرابي أو الدائن، الذي يسعى لكي يسترجع أمواله وعن طريق سلب ما يملكه الذي استدان منه. فكتب قائلاً: "خذ ثوبه لأنه ضمن غريباً ولأجل الأجانب ارتهن منه." (أمثال ١٦:٢٠) أي أن الدائن هنا يريد أن يأخذ حتى الثوب الذي يلبسه الذي استدان منه، دون أن يشفق عليه أو يترأف به. وهذا بالطبع عمل غير مقبول لدى الله. وكان الله قد حدّر الشعب قديماً في الشريعة من أخذ الربا، أي الفائدة غير الشرعية من الإنسان الفقير المحتاج.

لهذا نقرأ في الشريعة: "إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي. لا تضعوا عليه ربا. إن ارتهنت ثوب صاحبك فألى غروب الشمس تردّه له. لأنه وحده غطاؤه. هو ثوبه لجلده. في ماذا ينام. فيكون إذا صرخ إليّ أنني أسمع. لأني رؤوف." (خروج ٢٢:٢٥-٢٧) هذا يكشف لنا مدى اهتمام الله بالناس الفقراء، وكيف يجب أن لا نستغلهم، بل أن نعاملهم بالرحمة والشفقة، وأن نحسن إليهم بدل أن نستبدّ بهم. إن معاملاتنا مع الآخرين يجب أن لا تقتصر على الصدق والأمانة، بل أن تكون أيضاً بدافع المحبة الصحيحة.

هل تشي بالآخرين يا صديقي لكي تنال حظوة عند المسؤولين؟ وهل تكشف أسرار من شاركك بأسراره؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "الساعي بالوشاية يفشي السرّ. فلا تخالط المفتّح شفّتيه." (أمثال ١٩:٢٠) إن الوشاية أمر غير مستحب لدى الله، وكذلك كشف أسرار الآخرين. لهذا دعانا المثل هنا أن نبتعد عن أولئك الناس الذين يسعون للوشاية، ويكشفون أسرار الآخرين. فأن تكون صديقاً حقيقياً معنى هذا أن تحترم أصدقائك وتحافظ على ولائك لهم وصحة علاقاتك معهم.

لكن ماذا عن الأولاد والشباب بشكل عام؟ وهل هم مسؤولون عن أفعالهم؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل: "الولد أيضاً يُعرف بأفعاله هل عمله نقي ومستقيم." (أمثال ١١:٢٠) على الشاب أن لا يظن أنه حر في أن يفعل ما يشاء. بل عليه أن يسلك في

طريق الصدق والاستقامة. ولهذا دعا سليمان الحكيم الشاب أيضاً لكي يحترم والديه. فكتب قائلاً: "من سبَّ أباه أو أمه ينطفئ سراجُه في حدقة الظلام." (أمثال ٢٠: ٢٠) أي على الشاب أن لا يهين والديه ويشتمهم، بل أن يقدم لهما كل الاحترام والولاء والطاعة. وإلا لما باركه الله في حياته.

صديقي المستمع، لقد تحدثنا اليوم عن عدة أمور عملية بخصوص معاملاتنا وعلاقاتنا بالآخرين. لعلَّ السؤال الآن: كيف بنا نستطيع أن نكون صادقين وأمناء في معاملاتنا؟ وكيف نجنب أنفسنا خداع الآخرين أو استغلالهم؟ للجواب عن هذه الأسئلة أو التساؤلات نقول: إننا كبشر ومهما حاولنا نبقى مقصّرين لا بل في أحيان كثيرة عاجزين عن أن نكون أمناء وصادقين. والسبب لأننا كبشر نحب أنفسنا أولاً، ونسعى لكي نحقق مصالحنا الأنانية. وهذه حقيقة لا يستطيع أيُّ منا أن ينكرها. لهذا نحن بحاجة إلى خلاص الله بواسطة المخلص المسيح، الذي وحده يقدر أن يبدل حياتنا من الداخل، ويخلقنا خليقة جديدة، تكون مليئة بالصفات الصالحة، وعلى رأسها صفة المحبة الحقة. فهل تراك تأتي إلى المخلص المسيح فتغدو بالفعل إنساناً أميناً وصادقاً ومحباً للآخرين.